١) السياسة في لبنان بين الطوائف والأحزاب السياسية

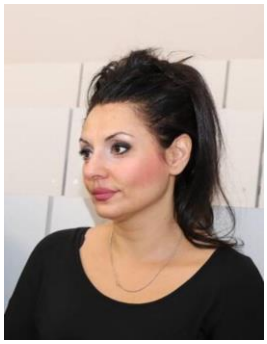

بقلم الدكتورة راما عزيز دراز

منتدب للتدريس في كلية العلوم الإنسانية في جامعة بيروت العربية

ramaroka@hotmail.com

ملخص

يتضمن بحث "السياسة في لبنان بين الطوائف والأحزاب السياسية" للدكتورة راما عزيز دراز جملة من المفاهيم والتطورات السياسية والطائفية والحزبية، ودراسة للطوائف المؤثرة في الكيان اللبناني سواء الطوائف الإسلامية أو المسيحية. كما يتضمن البحث دراسة للبناء الاقتصادي اللبناني، والبناء السياسي والسمات والخصائص الاقتصادية والسياسية التي تميز بها لبنان منذ ولادته عام ١٩٢٠ إلى التاريخ الحديث والمعاصر.

هذا، وقد تضمن البحث أيضاً دراسة لأهم الأحزاب اللبنانية المؤثرة في السياسة اللبنانية، وفي مجريات التطورات السياسية اللبنانية.

لقد استطاعت الباحثة تسليط الأضواء على الطوائف والمذاهب والأحزاب اللبنانية وأثرها المباشر في جميع الأحداث والتطورات السياسية والطائفية، وفي تكوين لبنان الحديث والمعاصر.

The sectarian issue in Lebanon was not a fabricated or new issue, but an old one with a historical basis. And overlapped with the issues of the region and associated with them from long periods, and overlapped with international forces directly, and thus affected the attitudes and policy of the Lebanese communities. Whatever the reasons for the sectarian issue, in fact, the ideological and material basis is the element that made it a problem

And gave it the status of continuity because sectarianism is a manifestation of ideological and economic benefit to the community of one another, according to supporters or opponents.

This differentiation led to the acute class division of Lebanese society in terms of its structure and composition and thus became a society characterized by instability and dependence

It seems that while social construction must have a clear impact on the political and economic trend within Lebanon, sectarian diversity is supposed to be a cultural source for Lebanon. However, this may constitute the general framework for all internal conflicts in Lebanon and may therefore be affected by the Palestinian presence inside Lebanon

There is in Lebanon, about eighteen range for each religious and political council

مقدمة:

بعد فتح العثمانيون للبلاد العربية عام ١٥١٦م كانت الإمارة الناشئة "آل معن" أوضح وأهم تشكيل سياسي في المنطقة المعروفة باسم جبل لبنان[١].

كان الدروز هم المتفوقون في العدد، وكان المسلمون السنة يسكنون المدن الساحلية، أما الشيعة فكانوا يقطنون في وادي البقاع وجبل عامل وكانت الأجزاء الشمالية من الجبل يقطنها الموارنة[٢]. وخلال هذه الفترة من الحكم كان للمسلمين السنة مكانتهم العليا في الإدارة والحكم[٣]. وتميزوا كذلك بتفوقهم في المجالات الثقافية والدينية، وكذلك كان لهم الدور الحقيقي في مقاومة التسلط الأوروبي على الشام بصفة عامة وعلى لبنان بصفة خاصة[٤]. ومن أهم تلك الدول فرنسا التي حصلت على امتيازات دينية وتجارية في المنطقة من السلطان العثماني سليم الأول في النصف الأول من القرن السادس عشر، وبعد تجربة الحملة الفرنسية التي فتحت مصر أمام مصادر النفوذ الغربية الحديثة خاصة بعد محاولة توسيع ذلك النفوذ لمحمد علي وحلفائه حيث اتجهت فرنسا نحو شمال أفريقيا وعملت على احتلال الجزائر ١٨٣١[٥]، ثم فرض الحماية على تونس عام ١٨٨١م على المغرب سنة ١٩٠٨م، ومنذ الربع الأخير من القرن التاسع عشر تركت فرنسا المشرق العربي أمام بريطانيا، في مقابل سيطرتها على المغرب العربي، إلا أنها عملت على تفعيل دورها الديني والثقافي في الشام[٦]. وعملت على تحقيق ذلك عن طريق الإرساليات الدينية في معاهدها في لبنان[٧].

وبعد انتهاء الحرب العالمية الأولى وانتصار دول الحلفاء كان ذلك دافعاً لتقسيم الولايات العربية بين إنجلترا وفرنسا تبعاً لاتفاقية سايكس بيكو[٨].

وفي الحقيقة أن عام ١٩٢٠م كان مفصلاً في تاريخ لبنان، حيث أصبحت القومية هي القضية الرئيسية بالنسبة للقوى الداخلية في لبنان، فالجنرال غورو أعلن رسمياً فصل سوريا عن لبنان بإعلان دولة لبنان الكبير مدعياً بأن المسلمين والمسيحيين قد قبلوا بهذا الإعلان بعد أن نال التأييد والمباركة من البطريرك الماروني "إلياس الحويك". وكان الموقف الإسلامي يسير في رفض صيغة لبنان الكبير بسبب ارتباطهم تاريخياً بالوحدة السورية[٩].

أولاً: البناء الاجتماعي:

---

(١) قاسم، جمال زكريا وآخرون: الأزمة اللبنانية أصولها – تطورها، أبعادها، المنطقة العربية للتربية والثقافة، معهد البحوث والدراسات العربية، القاهرة، ط١، ١٩٧٨م، ص١٢.

(٢) نصر، سليم وآخرون، الطبقات الاجتماعية في لبنان، مؤسسة الأبحاث العربية، بيروت، ط١، ١٩٨٢، ص٢٩.

(٣) المرجع السابق، ص٣٠.

(٤) قاسم، جمال زكريا: الأزمة اللبنانية، ص١٠.

(٥) النحوي، عدنان: على أبواب القدس، دار النحوي للنشر والتوزيع، الرياض، ط٢، ١٩٩٣م، ص٥٣.

(٦) تقي الدين، سليمان: التطور التاريخي للمشكلة اللبنانية ١٩٢٠–١٩٧٠، دار ابن خلدون، بيروت، ط١، ١٩٧٧م، ص٢١.

(٧) الطاهري، حمدي: سياسة الحكم في لبنان، دار النهضة العربية، القاهرة، ط٢، ١٩٦٨م، ص٣٢٤.

(٨) تقي الدين، سليمان: التطور التاريخي، ص٢١.

(٩) حلاق، حسان: تاريخ لبنان المعاصر، ص٧.

لم تكن القضية الطائفية في لبنان قضية مفتعلة أو جديدة، إنما هي قضية قديمة ولها أساسها التاريخي[١٠]. وتداخلت مع قضايا المنطقة وارتبطت بها منذ فترات بعيدة، كما تداخلت فيها القوى الدولية بشكل مباشر، وبذلك أثرت في اتجاهات وسياسة الطوائف اللبنانية[١١]، ومهما تعددت الأسباب للقضية الطائفية ففي الحقيقة أن الأساس العقائدي والمادي لها هو العنصر الذي جعل منها هماً جماهيرياً لمؤيديها، وأعطاها صفة الاستمرارية، وذلك لأن الطائفية تعد مظهراً عقائدياً واقتصادياً يعود بالفائدة على طائفة دون الأخرى بحسب مؤيديها أو معارضيها[١٢].

وأدى ذلك التمايز إلى الانقسام الطبقي الحاد في المجتمع اللبناني من حيث بنيته وتشكيله، وبالتالي أصبح مجتمعاً يغلب عليه طابع عدم الاستقرار والتبعية[١٣].

ويبدو أنه في الوقت الذي يجب أن يكون للبناء الاجتماعي أثراً واضحاً على الاتجاه السياسي والاقتصادي داخل لبنان، فمن المفترض أن يكون التعدد الطائفي مصدراً حضارياً وتاريخياً للبنان غير أن ذلك قد يشكل الإطار العام لجميع النزاعات الداخلية في لبنان وبالتالي قد تتأثر بالوجود الفلسطيني داخل لبنان.

ويوجد في لبنان حوالي ثمانية عشر طائفة لكل منها هيئة دينية وسياسية ومن أهم هذه الطوائف:

المذاهب والطوائف الإسلامية:

هي الطوائف التي أصبح لها وجود بعد الفتح الإسلامي، حيث تحول قسم كبير من سكان لبنان المسيحيين إلى الإسلام[١٤]، ومن أهم هذه الطوائف:

أ- الطائفة السنية:

تعتبر طائفة السنة من أهم الطوائف الإسلامية في لبنان بسبب كثرة عددها مقابل الطوائف الأخرى، ويتمركز العدد الاكبر منها في مدينتي بيروت وطرابلس[١٥]. ويعتبر مسلمو بيروت هم طليعة اللبنانيين فهم أصحاب الأملاك ورؤوس الأموال، ويعملون بالتجارة منذ أقدم الأزمنة، ويطغى التفكير التجاري على عقولهم[١٦]. على حد زعمه وعندما أعلن الفرنسيون بيروت عاصمة للبنان الكبير، وجد زعماء المدينة أنفسهم أمام الأمر الواقع، فرضخوا له أما مسلمو طرابلس فرفضوا ذلك، وطالبوا بالوحدة مع سوريا، لا سيما وأن الموقع الجغرافي يربطهم بشكل محكم معها، بالإضافة إلى أن مصالحهم الاقتصادية والتجارية تجعلهم على صلة دائمة مع سوريا[١٧].

---

(١٠) غليمور، دافيد: دروب الانهيار – تأريخ سياسي للأزمة اللبنانية، حسان يوسف (ترجمة)، دار المروج، بيروت، ط١، ١٩٨٨م، ص٣١ – عدوان، أكرم: تطور العلاقات السورية اللبنانية ١٩٥٨-١٩٧٦م، رسالة ماجستير (غير منشورة)، معهد البحوث والدراسات العربية، القاهرة، ١٩٩٢م، ص٣٨.

(١١) حلاق، حسان: تاريخ لبنان المعاصر، ص٥ – قربان، ملحم: تاريخ لبنان السياسي، ج٢، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، بيروت، ط٢، ١٩٨٠م، ص٣٦.

(١٢) عدوان، أكرم: تطور العلاقات السورية اللبنانية، ص٣٨ – غليمور، دافيد: دروب الانهيار، ص٣٦.

(١٣) نصر، سليم: الطبقات الاجتماعية، ص١، قرباني، ملحم: تاريخ لبنان السياسي، ص٣٦.

(١٤) كوبان، هيلينا: لبنان – ٤٠٠ سنة من الطائفية، سمير عطا الله (ترجمة)، منشورات هاي لايت، لندن، د. ط، د. ت، ص٢١ – غليمور، دافيد: دروب الانهيار، ص٣١.

(١٥) كوثراني، وجيه: الاتجاهات الاجتماعية والسياسية في جبل لبنان والمشرق العربي، ١٨٦٠-١٩٢٠م، معهد الإنماء العربي، بيروت، ط٣، ١٩٨٢م، ص٣٢ – غليمور، دافيد: دروب الانهيار، ص٣١.

(١٦) سكوبان، هيلينا: لبنان – ٤٠٠ سنة من الطائفية، ص٢١ – غليمور، دافيد: دروب الانهيار، ص٣١.

(١٧) الطاهري، حمدي: سياسة الحكم، ص٢٨.

وللطائفة السنية دوراً فعالاً في الحياة السياسية، فالدستور اللبناني يعطيها حق رئاسة الوزراء، كما يمثلها في مجلس النواب عدد من النواب[١٨].

ب- الطائفة الشيعية:

ظهر الشيعة في لبنان زمن الدولة الفاطمية، حيث كان المذهب الشيعي هو المذهب الرسمي للدولة الفاطمية، وبذلك قوي نفوذهم في لبنان، واستوطن قسم كبير منهم في صور وصيدا وبعلبك. كما تقيم مجموعة ضئيلة منهم في بيروت مركز الطائفة السنية[١٩].

وأهم خلاف بين الشيعة والسنة هو المسألة الدينية، وقد استغل الفرنسيون هذا الخلاف، لذلك أصبح الشيعة يحجمون على الانضمام إلى سوريا كغيرهم من المسلمين[٢٠]. ويشارك أبناء هذه الطائفة بشكل مباشر في الحياة السياسية حيث يمثلهم في مجلس النواب بعض النواب، ويعطيهم الدستور اللبناني حق رئاسة المجلس النيابي[٢١].

ج- الطائفة الدرزية:

تنسب إلى الداعي محمد بن إسماعيل وكان تركياً[٢٢]، وهم يرفضون بشدة أن يطلق عليهم اسم الدروز، ويفضلون بدلاً منه اسم الموحدين[٢٣].

وتعود نشأة هذه الطائفة إلى أوائل القرن الحادي عشر، حيث جاء محمد نشتكين إلى سوريا سنة ١٠٢٠م، ثم انتقل إلى لبنان، وأخذ يدعو إلى مذهب جديد يدور حول الحاكم بأمر الله[٢٤]، وفي القرن التاسع عشر وقعت بينهم وبين الموارنة في لبنان فتنة مهدت للتدخل الأوروبي في البلاد[٢٥].

وقد نص الدستور اللبناني على أن الدروز من الطوائف الإسلامية[٢٦]، ويختلفون عن المسلمين في كثير من الشعائر، ومنها الصوم والصلاة والزكاة، وهذه الشعائر أسقطها عنهم الحاكم بمجرد توحيدهم له، وتأييدهم لولايته[٢٧]. ومن أبرز شخصيات هذه الطائفة في لبنان الشهيد كمال جنبلاط ذو المشاركة الفاعلة في الحياة السياسية، ويعتبر المؤسس الحقيقي للحزب التقدمي الاشتراكي الذي يمثل هذه الطائفة، كما برز من بعده نجله الوزير وليد جنبلاط وحفيده النائب تيمور وليد جنبلاط. وتشارك هذه

---

[١٨] ماريديني، زهير: فلسطين والحاج أمين الحسيني، دار إقرأ، بيروت، ط١، ١٩٨٦م، ص١٠٤ – شديد، محمد: الولايات المتحدة والفلسطينيون، جمعية الدراسات العربية، القدس، ط١، ١٩٨٥م، ص٩٠.

[١٩] قاسم، جمال زكريا: الأزمة اللبنانية، ص٤٠٣.

[٢٠] الطاهري، حمدي: سياسة الحكم، ص٢٩ – غليمور، دافيد: دروب الانهيار، ص٢٣.

[٢١] كوبان، هيلينا: لبنان ٤٠٠ سنة من الطائفية، ص١٨ – عدوان، أكرم: تطور العلاقات السورية اللبنانية، ص٤١.

[٢٢] الحفني، عبد المنعم: موسوعة الفرق والجماعات والمذاهب والأحزاب، مكتبة مدبولي، القاهرة، ط٣، ١٩٩٩، ص٣٤٣.

[٢٣] كامل، محمد حسين: طائفة الدروز – تاريخها وعقائدها، دار المعارف، مصر، ط٢، ١٩٦٨م، ص٦.

[٢٤] كوثراني، وجيه: الاتجاهات الاجتماعية، ص٣٣.

[٢٥] رزق، هدى: الدروز – التشتت والهوية – سوريا وفلسطين ولبنان، الاجتهاد، دار الاجتهاد للأبحاث والترجمة، بيروت، العدد ٢١، السنة الخامسة، يونيو ١٩٩٣م، ص١٤٢ – عبد الغني، مصطفى: معجم مصطلحات التاريخ العربي الحديث والمعاصر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ط١، ٢٠٠٣م، ص٣٣٩.

[٢٦] الطاهري، حمدي: سياسة الحكم، ص٣١.

[٢٧] عبد العزيز، عمر: تاريخ لبنان الحديث، مكتبة كريدية، بيروت، د. ط، د. ت، ص٨.

الطائفة في الحياة السياسية اللبنانية إذ يمثلها في الحكومة عدة وزراء وعدة نواب في المجلس النيابي[٢٨]. ويوجد أكبر أعداد هذه الطائفة في سوريا، ثم في لبنان، كذلك يوجد عدد منهم في فلسطين[٢٩].

ويتضح مما سبق أن للدروز توجهات وطنية وقومية إذا اقترن ذلك بانفراد هذه الطائفة ببعض الآراء الدينية المميزة، فمن الممكن أن يكون لهذه الطائفة دوراً إيجابياً تجاه الفلسطينيين داخل لبنان وخاصة بعد حرب ١٩٤٨م.

المذاهب المسيحية:

يعود بدء انبثاقها إلى الانقسامات التي أحدثتها المناقشات اللاهوتية في أواسط القرن الخامس حول طبيعة السيد المسيح، وما تبعها من مصادمات أدت إلى انفصال نصارى سوريا والعراق ومصر عن الكنيسة الموحدة الكاثوليكية، وبالتالي إلى تأليف تلك الفرق المسيحية الشرقية المتخاصمة[٣٠]. تبع ذلك انتقال المسيحية من سورية إلى لبنان، حيث ضم المجتمع اللبناني العديد من هذه الطوائف التي انتشرت في مناطق عديدة منها الجبل والكورة والمتن والوسط والشمال. وهذه الطوائف:

١- الطائفة المارونية:

تنسب إلى القديس مارمارون*[٣١]، وتعتبر من أهم الطوائف المسيحية في بلاد الشام، لا بسبب عددهم في شمال لبنان، بل بسبب الدور السياسي الذي لعبته في تاريخ البلاد، والدور القيادي لها في توجيه السياسة اللبنانية[٣٢]. ويمثل هذه الطائفة في الحكومة عدد من الوزراء، وعدد من النواب في مجلس النواب[٣٣]. وحظيت الطائفة بهذه المكانة بسبب دعم فرنسا لها بكافة الوسائل، على الرغم أنه لا يوجد لها القليل من الأماكن التاريخية والثقافية باستثناء بعض المقاطعات الكنيسية[٣٤]. لذلك نجد أن هذه الطائفة تعتبر لبنان عربي الوجه، غربي الثقافة. يجمع بين مدنية الغرب وروحانية الشرق[٣٥]. لذا كان المجتمع الماروني في صراع مستمر للحصول على الهوية القومية في ظل مجتمع مهيمن[٣٦]، غير أن اتفاقية الطائف عام ١٩٨٩ أكدت على هوية لبنان العربية.

وبالنظر إلى ما كانت تتصف به هذه الطائفة من مستوى سياسي واجتماعي وثقافي لم يتح لغيرها من الطوائف نتيجة رعاية ودعم فرنسا لها.

---

(٢٨) اسماعيل، محمود: فرق الشيعة بين التفكير السياسي والنفي الديني، سينا للنشر، القاهرة، ط١، ١٩٩٥م، ص٧٣.

(٢٩) كوثراني، وجيه: الاتجاهات الاجتماعية، ص٣٣ – عدوان، أكرم: العلاقات السورية اللبنانية، ص٤٢ – عبد الغني، مصطفى: المعجم، ص٣٣٩، رزق، هدى: الدروز – التشتت والهوي، الاجتهاد، ع٢١، ص١٤١.

(٣٠) سرحال، أحمد: النظم السياسية والدستورية في لبنان والدول العربية، دار الباحث، بيروت، ط١، ١٩٨٠م، ص١٩٣.

* مارمارون: رجل دين كاثوليكي، ينسب إليه ظهور الطائفة المارونية التي استمدت تسميتها منه ويعد من القديسين وكان ظهوره فيت ركيا في القرن الخامس الميلادي، وهاجر بعض أنباءه في القرن السابع إلى لبنان هرباً من اضطهاد اليعاقبة لهم حيث أسسوا الطائفة المارونية، عدوان، أكرم: العلاقات السورية اللبنانية، ص٤٣.

(٣١) رندل، جوناثان: حرب الألف سنة حتى آخر مسيحي، بشار رضا (ترجمة)، د. ن، د. م، ط١، ١٩٨٤، ص٤٩.

(٣٢) المرجع السابق، ص٤٩.

(٣٣) عدوان، أكرم: العلاقات السورية اللبنانية، ص٤٣.

(٣٤) الطاهري، حمدي: سياسة الحكم في لبنان، ص٢٣ – غليمور، دافيد: دروب الانهيار، ص٣٢.

(٣٥) كوثراني، وجيه: الاتجاهات الاجتماعية في لبنان، ص٣٣ – غليمور، دافيد: دروب الانهيار، ص٣٢.

(٣٦) Gilmour, David: Dispossessed – The ordeal of the Palestinians 1917–1980, Sidgwick& Jackson, London, 1st. ed, 1980, p. 178.

٢- الروم الأرثوذكس:

هم عرب في أنسابهم، فهم ينتمون إلى الغساسنة الذين كانوا في سوريا منذ الفتح الإسلامي، وقاموا بمساعدة الفاتحين ضد الرومان، وتغلبت عنصريتهم على دينهم، فأسلم قسم منهم، وبقي قسم آخر على دينه القديم مع اندماج الجميع بشكل كلي مع المجتمع الإسلامي[٣٧]، ولقد برزت هذه الطائفة في القرن التاسع عشر واستقرت في المناطق الساحلية[٣٨]، وفي المدن الكبرى التي يتواجد فيها السنة، حيث كانت علاقتهم طيبة معهم[٣٩].

ولذلك اتخذت فرنسا سياسة فيها الكثير من التعسف تجاه الأرثوذكس، وشجع الموارنة هذه السياسة لما بين الطائفتين من تنافس عقائدي[٤٠]. ويمثل هذه الطائفة في المجلس النيابي بعض النواب، ولها مناصب في الوزارة وتعتبر من أهم الطوائف في لبنان[٤١].

٣- الروم الكاثوليك:

تنسب إلى الغساسنة، بالإضافة إلى أنها كانت جزءاً من الأرثوذكس لكنها انشقت عنهم في القرن الثامن عشر[٤٢]، وتتركز في منطقة زحلة، ويتميز أفرادها بالثراء الفاحش، وأخذ مواقعهم في الأماكن الحساسة في الدولة، وسبب ذلك أنهم غالباً ما يكونوا حلفاءً للموارنة، ويمثل هذه الطائفة في المجلس النيابي بعض النواب ولها منصب واحد في الوزارة[٤٣].

٤- الأقليات:

بجانب الطوائف الكبرى، هناك العديد من الطوائف الأخرى والتي تعرف باسم الأقليات، وقد خصص قانون الانتخاب مقعداً نيابياً للعلويين ومقعداً نيابياً للأقليات المسيحية، ومن هذه الطوائف طائفة العلويين والآشوريين والسريان وسواها[٤٤].

ثانياً: البناء الاقتصادي في لبنان:

يعتمد ثلثا سكان لبنان إلى حد بعيد على الزراعة، وذلك في إطار نظام إقطاعي عشائري طائفي[٤٥]، عملت على تثبيته سلطة الانتداب ١٩٢٠-١٩٤٣م التي استغلت الخلافات الطائفية إلى أقصى الحدود لاستغلال موارد البلاد الاقتصادية، واستمرار نفوذها الاستعماري في لبنان[٤٦]. والذي هو في الأصل تشكيلة اجتماعية اقتصادية رأسمالية لا تزال مشتملة على علاقات إنتاج اجتماعية وغير اجتماعية فيها طبقة منفردة من الإقطاعيين، قليلة الارتباط بالصناعة أو بالقطاع المصرفي، كذلك تتضح

---

(٣٧) الطاهري، حمدي: سياسة الحكم في لبنان، ص٢٤ – شديد، محمد: الولايات المتحدة والفلسطينيون، ص١٢٤.

(٣٨) كوثراني، وجيه: الاتجاهات الاجتماعية في لبنان، ص٣٤ – عدوان، أكرم: العلاقات السورية اللبنانية، ص٤٤.

(٣٩) قاسم، جمال زكريا، وآخرون: الأزمة اللبنانية، ص٤٠٣.

(٤٠) الطاهري، حمدي: سياسة الحكم في لبنان، ص٢٥.

(٤١) قاسم، جمال زكريا وآخرون: الأزمة اللبنانية، ص٣٣.

(٤٢) كوثراني، وجيه: الاتجاهات الاجتماعية في لبنان، ص٣٤ – عدوان، أكرم: تطور العلاقات، ص٤٥.

(٤٣) قاسم، جمال زكريا وآخرون: الأزمة اللبنانية، ص٤٠٧ – الطاهري، حمدي: سياسة الحكم في لبنان، ص٢٥.
Gilmour, David: The Ordeal of the Palestinians, p. 178.

(٤٤) قاسم، جمال زكريا: الأزمة اللبنانية، ص٤٠٥ – شديد، محمد: الولايات المتحدة والفلسطينيون، ص٩.

(٤٥) نصر، سليم: الطبقات الاجتماعية، ص٢١.

(٤٦) قاسم، جمال زكريا: الأزمة اللبنانية، ص٤١٠ – غليمور، دافيد: دروب الانهيار، ص٢٧.

الأهمية القصوى للانتماء العائلي والعشائري والطبقي في تحديد هوية اللبنانيين، حيث ينقسم المجتمع اللبناني إلى ثلاث فئات اقتصادية[٤٧]، غير أن لبنان شهد بعد عام ١٩٤٣ بعض الفئات التي اهتمت بالقطاع الصناعي والقطاع المصرفي بشكل بارز. إن تلك الطبقات تضم العائلات التي تمارس نفوذها من خلال موقعها الأساسي في الحكم، فمميزات السياسة التي اتبعتها السلطات اللبنانية مقارنة مع تلك التي اتبعتها الكثير من الدول النامية كفلت حرية المبادرة للقطاع الخاص للسيطرة بنسبة محددة على الحركة الاقتصادية[٤٨].

ونظراً لأن هذه الطبقة تتميز بمستوى ثقافي وتعليم مرتفع، ولما تمتلكه من إمكانات مادية هائلة، فقد منحها القانون اللبناني امتيازات خاصة بها[٤٩].

إن الفلسطينيين أصحاب الأموال وذوو النفوذ والمهن كانوا يتمتعون بمعاملة خاصة أو اعتبارات معينة، فقد أعطيت الأولوية في الحصول على إذن عمل لذوي التحصيل العالي أو المهنيين المتخصصين، أو لأولئك الذين لهم أصول لبنانية، وللمتزوجين من نساء لبنانيات، حيث استطاع بعض الفلسطينيين مثل إميل البستاني اللبناني المولد والذي هاجر إلى فلسطين في فترة الانتداب، وأسس شركة للتعاهدات والتجارة – استطاع نقل نشاط شركاته إلى بيروت بعد حرب ١٩٤٨، واستطاع الحصول على إقامة واستثمار أمواله في التملك[٥٠].

فالدستور اللبناني ينص على أن الحقوق والحريات العامة تتطابق مع فلسفة المذهب الفردي ونظرته لها، حيث يقوم بالاعتراف بالحقوق والحريات التقليدية ويمنع الدولة من التدخل في المجالات الاقتصادية والاجتماعية تماشياً مع السياسات الخارجية[٥١].

ويتضح من طبيعة البناء الاجتماعي والاقتصادي في لبنان أن المجتمع اللبناني امتاز بالتعددية وكثرة الطوائف ذات العقائد والتقاليد المختلفة، مما يؤثر على علاقة لبنان مع دول الجوار سواء إيجابياً أو سلبياً وخصوصاً مع فلسطين وسوريا التي تربطهما علاقات تاريخية وطيدة مع لبنان.

ثالثاً: البناء السياسي:

يتأثر النظام السياسي في لبنان بالبناء السياسي داخل الدولة، والذي تقوم على قاعدتين أساسيتين، الأولى: إطار دستوري خاص من جانب، والثانية: مؤسسات سياسية ترتبط به من جانب آخر، وتنظيم العلاقة بين هذه المؤسسات حسب قواعد معينة[٥٢].

ووضع الدستور اللبناني عام ١٩٢٦م حيث مُنح المفوض السامي سلطات تتعارض مع سلطات المسؤولين اللبنانيين وتحد منها. ولا تتفقمع كرامة البلاد وسيادتها[٥٣]. ولقد جاء ذلك الدستور على غرار دستور الجمهورية الفرنسية الثالثة الذي صدر عام ١٨٧٥م، ذلك أن الدستور وليداً لإرادة الدولة المنتدبة، وأن ممثلي تلك الدولة هم الذين قاموا بوضع مشروع الدستور بمفردهم دون مشاركة من المجلس التمثيلي اللبناني أو فئات الشعب[٥٤] وهذا ما يخالف المادة الأولى من صك الانتداب التي تلزم الدولة

---

(٤٧) قاسم، جمال زكريا: الأزمة اللبنانية، ص٣٩١.

(٤٨) كوثراني، وجيه: الاتجاهات الاجتماعية، ص٣٨ – عدوان، أكرم: العلاقات السورية اللبنانية، ص٢٦ – غليمور، دافيد: دروب الانهيار، ص٢٥.

(٤٩) قاسم، جمال زكريا: الأزمة اللبنانية، ص٤١٠.

(٥٠) سميث، باميلا آن: فلسطين والفلسطينيون، إلهام بشارة الخوري (ترجمة)، دار الحصاد، دمشق، ط١، ١٩٩١م، ص١٤٩. أنظر أيضاً: حلاق، حسان: موقف لبنان من القضية الفلسطينية ١٩١٨-١٩٥٢م، مركز الأبحاث (م. ت. ف)، بيروت، ط١، ١٩٨٢م، ص١٢.

(٥١) بسيوني، عبد الغني: القانون الدستوري اللبناني، الدار الجامعية، بيروت، د. ط، ١٩٨٧، ص٢٥٢.

(٥٢) عدوان، أكرم: العلاقات السورية اللبنانية، ص٧٣.

(٥٣) شمعون، كميل: مذكراتي، د. م، د. ط، ١٩٦٩، ص٢٥ – بسيوني، عبد الغني: القانون الدستوري اللبناني، ص٤١.

(٥٤) رباط، أدمون، وآخرون: لبنان والبنية الطائفية، منشورات دار الفن والأدب، بيروت، ط١، ١٩٨٥م، ص٤٧.

المنتدبة بوضع نظام أساسي للحكم بالاتفاق مع السلطات المحلية، يأخذ بالاعتبار حقوق الأهالي ومصالحهم. ويتميز نظام الحكم في لبنان في ذلك الدستور بأنه جمهوري، حيث أن مواده[٥٥] تخلو تماماً من أي نص أو إشارة تتعلق بالديانة التي يجب أن يدين بها رئيس الجمهورية أو الطائفة التي ينتمي إليها[٥٦]. الأمر الذي أدى بالمسلمين إلى عدم الاعتراف به، وقاموا بعقد مؤتمرات وحدوية في بيروت ودمشق للمطالبة بالانفصال عن لبنان والالتحاق بالوحدة السورية[٥٧].

ولقد كان شارل دباس أول رئيس لبناني مسيحياً أرثوذكسياً[٥٨]. ولكونه من هذه الطائفة، رحب به بحذر المسلمون السنة والشيعة والدروز كما كان اختياره مقبولاً من جانب المسيحيين الأرثوذكس والموارنة لكونه استقلالياً لبنانياً قديماً[٥٩].

ويبدو أن اختيار سلطات الانتداب له بالذات سهل له المهمة في التوافق بين جميع الطوائف، خصوصاً أن أحد أبناء طائفة أقلية في لبنان الأمر الذي يجعل سلطات الانتداب تسيطر عليه وتجبره على تنفيذ سياساتها أكثر من أي شخص من طائفة كبيرة، ولأنه كان حليفاً للفرنسيين منذ العهد العثماني.

وبقيت البلاد في حالة عدم استقرار خلال عهد شارل دباس حتى انتهت مدة رئاسته عام ١٩٣٢م[٦٠]. وتنافس بعده على الرئاسة كلاً من أميل إده وبشارة الخوري ورغم أنهما مارونيان فقد حظي أميل إده بتأييد السلطات الفرنسية[٦١] أما الخوري فقد مال إليه المسلمون بسبب علاقته الحسنة معهم واستيائهم من تصرفات خصمه الذي عمل خلال فترة وزارته السابقة في عهد شارل دباس على تعزيز البعثات الكاثوليكية[٦٢].

وقد ترشح الشيخ محمد الجسر وهو سني وكان يرأس مجلس النواب في عهد شارل دباس نفسه لرئاسة الجمهورية، وأصبح أقوى المتنافسين، لأنه كان يؤيد ترشيحه كلاً من المسلمين والكاثوليك والأرثوذكس الذين وجدوا فيه حلاً للخلاف القائم بين المتخاصمين[٦٣].

ولما كانت سياسة فرنسا تعتمد على تشجيع الطائفية، فقد رأت في وصول شيخ مسلم إلى منصب رئاسة الجمهورية عائقاً أمام تحقيق أهدافها، فلجأت إلى تعطيل الدستور وحل البرلمان، وقامت بتعيين شارل دباس من جديد رئيساً للجمهورية وللحكومة في وقت واحد، وبذلك فرضت الصراعات الطائفية في البلاد[٦٤].

---

[٥٥] بسيوني، عبد الغني: القانون الدستوري اللبناني، ص٢٣.

[٥٦] شمعون، كميل: مذكراتي، ص٢٥.

[٥٧] حلاق، حسان: تاريخ لبنان المعاصر، ص٩. أنظر أيضاً: حلاق، حسان: مؤتمر الساحل والأقضية الأربعة، عدة صفحات. الطاهري، حمدي: سياسة الحكم في لبنان، ص١٥٧.

[٥٨] شمعون، كميل: مذكراتي، ص٢٥.

[٥٩] الخصوصي، بدر الدين: القضية اللبنانية في تاريخنا الحديث والمعاصر، د. م، ط١، ١٩٧٨م، ص٩٠.

[٦٠] الطاهري، حمدي: سياسة الحكم في لبنان، ص١٢٧.

[٦١] حلاق، حسان: تاريخ لبنان المعاصر، ص١٢٧.

[٦٢] الخصوصي، بدر الدين: القضية اللبنانية، ص٩٠.

[٦٣] تقي الدين، سليمان: التطور التاريخي، ص٥٨.

[٦٤] الطاهر، حمدي: سياسة الحكم في لبنان، ص١٥٨، قاسم، جمال زكريا: الأزمة اللبنانية، ص١٨٩.

غير أن لبنان شهد صفحات إيجابية في مجال العمل السياسي لا سيما في الفترة بين ١٩٣٢-١٩٣٦م، حيث برز بين اللبنانيين حركات سياسية قومية ووطنية تجمع بينهم وتوحدهم إلى حد ما في مجال العمل السياسي ضد الممارسات الفرنسية[٦٥]. وبدأت تتبلور معارضة وطنية شاملة لسياسة الانتداب برزت بوضوح من خلال ظهور ما يسمى بالأحزاب السياسية[٦٦].

تنص المادة الثامنة من الدستور اللبناني على أن الحرية الشخصية مصونة وفي حمى القانون ولا يمكن تحديد جرم أو تعيين عقوبة إلا بمقتضى القانون[٦٧].

لذلك فإن حرية الاعتقاد مطلقة كما أن الدولة تحترم جميع الأديان وتكفل إقامة الشعائر الدينية تحت حمايتها على ألا يكون ذلك فيه إخلال للنظام العام. وبهذا تقر القوانين بحرية إنشاء الأحزاب المعترف بها رسمياً على الرغم من ذلك فهنالك أحزاب غير مرخص لها قانونياً[٦٨].

وفيما يلي كلمة موجزة عن بعض الأحزاب اللبنانية:

أولاً: الأحزاب اللبنانية ذات الأغلبية الإسلامية:

١- حزب النجادة: أنشئ عام ١٩٣٦م على أنه منظمة شبه عسكرية، وأغلب عناصر الحزب من طائفة السنة[٦٩]. وإن كان لا يوجد في قانون الحزب ما يمنع انضمام أي فرد من باقي الطوائف الإسلامية الأخرى لعضويته، لأن الحزب يرى أن الدين مسألة شخصية بحتة ليس من حق أحد التدخل فيها[٧٠]. وقد حدد الحزب المبادئ العامة لسياسته الداخلية في المادة الأولى من نظامه الأساسي حيث ورد فيها أن النجادة حزب لبناني سياسي ديمقراطي عربي تحرري[٧١]. أساسه القاعدة الشعبية العريضة الداعمة للميثاق الوطني والنظام السياسي والاقتصادي المنبثق عنه[٧٢]، الذي يعمل على فرض المساواة وتكافؤ الفرص بين جميع الأفراد داخل الدولة، ويطالب الحزب بأن تكون الرئاسة الأولى دورية بين المسلمين والمسيحيين[٧٣]، وكذلك يعمل على تحرير المجتمع اللبناني من السيطرة الخارجية، وبث الروح الوطنية والعدالة الاجتماعية، وتطبيق مبادئها في مختلف الميادين[٧٤]. وقد حدد الحزب المبادئ العامة لسياسته الخارجية بتدعيم سياسة التضامن العربي والدفاع عن حقوق العرب المشروعة، وخاصة في فلسطين، التي نادى الحزب بضرورة تحريرها بشكل كامل من الاحتلال[٧٥]، والرئيس عدنان الحكيم كان أحد أبرز رؤسائه.

٢- حزب الهيئة الوطنية:

---

[٦٥] الطاهري، حمدي: سياسة الحكم في لبنان، ص١٥٨.

[٦٦] تقي الدين، سلميان: التطور التاريخي للمشكلة اللبنانية، ص٥٨، الخصوصي، بدر الدين: القضية اللبنانية، ص٩٤.

[٦٧] بسيوني، عبد الغني: القانون الدستوري اللبناني، ص٢٥٤.

[٦٨] قزما، يوسف: الطائفة في لبنان، دار الحمراء، بيروت، ط١، ١٩٨٩م، ص١٥.

[٦٩] قاسم، جمال زكريا: الأزمة اللبنانية، ص٢٩٨.

[٧٠] سرحال، أحمد: النظم السياسية، ص٢٠٧.

[٧١] النادي الثقافي العربي: القوى السياسية في لبنان، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، ط١، ١٩٧٠م، ص١٤٦.

[٧٢] تقي الدين، سليمان: التطور التاريخي، ص٧٥.

[٧٣] قاسم، جمال زكريا: الأزمة اللبنانية، ص٢٩٨ – النادي الثقافي: القوى السياسية، ص١٤٦.

[٧٤] قاسم، جمال زكريا: الأزمة اللبنانية، ص٢٩٨.

[٧٥] الطاهري، حمدي: سياسة الحكم، ص٢٥٨ – قاسم، جمال زكريا: الأزمة اللنبانية، ص٢٩٨.

أسس عام ١٩٥٠م على يد شخصيات إسلامية، أبرزها رياض الصلح[٧٦].ومن أهم مبادئ الحزب أن لبنان بلد عربي المقصد والطابع، فتاريخه جزء من تاريخ الأمة العربية المجاورة، ومصالحه الاقتصادية والسياسية مرتبطة بمصالح إخوانه العرب، لذلك ستذهب سدى كل المخططات الاستعمارية الهادفة إلى خلق قومية لبنانية مصطنعة مستقلة عن القومية العربية، المرتبطة بالقضية الفلسطينية بشكل إيجابي وفعال والعمل على شجب السياسة الدولية الداعمة للكيان الصهيوني[٧٧].

٣- الحزب التقدمي الاشتراكي:

تأسس عام ١٩٤٩م على يد كمال جنبلاط، ومعظم عناصره من الدروز[٧٨]، علماً أن واضع نظامه الأساسي كان العلامة الشيخ عبدالله العلايلي المسلم السني البيروتي. وكان يمثل طموحات ومصالح رجال الفكر والعمال والفلاحين وأرباب المهن الخاصة[٧٩]. ومن مبادئ الحزب الجمع بين إيجابيات الأحزاب السياسية والاجتماعية المتضاربة في العالم الأحزاب الإسلامية، الشيوعية والديمقراطية وغيرها[٨٠]، لمساندة الشعوب المضطهدة، وقد انتهج سياسة مساندة الوجود الفلسطيني في لبنان، والعمل من أجل الضغط على الحكومة اللبنانية والمسؤولين لإشراك القوى اللبنانية في تأييد ومساندة الشعب الفلسطيني[٨١].

٤- حزب الكتائب:

تأسس في عهد الانتداب الفرنسي عام ١٩٣٦م، وغالبية أعضائه من الطائفة المارونية، لكن لا يمنع انضمام أبناء الطوائف الأخرى له، إلا أن طبيعة تكوين الحزب ونزعته تجعل من المستحيل انضمام أي مسلم سني إليه، وكذلك الحال بالنسبة للمسيحيين الأرثوذكس[٨٢]. وأطلق عليه أيضاً اسم حزب الشباب، لكونه يركز على أن تكون غالبية أعضائه من الشباب[٨٣]. ويرجع ذلك إلى رغبة المسؤولين عن الحزب بتنشئة هؤلاء الشباب حسب العقيدة التي يؤمنون بها[٨٤]. وقد برز الحزب في بداية الأمر كحركة رياضية، ثم تحول إلى حركة سياسية تأخذ طابعاً عسكرياً[٨٥] ومن أبزر قادة الحزب الشيخ بيار الجميل مؤسس الحزب، ثم الشيخ بشير الجميل الذي عين قائداً لفرقة كتائبية مقاتلة، ثم أصبح فيما بعد ولأيام قليلة رئيساً للجمهورية[٨٦]. كما برز شقيقه الشيخ أمين الجميّل الذي أصبح بدوره رئيساً للجمهورية اللبنانية (١٩٨٢-١٩٨٨).

وتقوم المبادئ الأساسية للحزب على اعتبار أن لبنان جزء من بلاد البحر الأبيض المتوسط وأن موقعه الجغرافي يجعله جزءاً من البلاد العربية[٨٧]. وبذلك أخذ بالمناداة بفكرة القومية اللبنانية وعمل على إبرازها، حيث يرى الحزب أن لبنان وطن مستقل بحدوده المنبثقة في الدستور المعلن ١٩٢٦م، وأن اللبنانيين من مقيمين ومغتربين أمة واحدة، ذات قومية مميزة تجمعهم إرادة

---

[٧٦] سرحال، أحمد: النظم السياسية، ص٢٠٧.

[٧٧] النادي الثقافي: القوى السياسية، ص٢٩ – تقي الدين، سليمان: التطور التاريخي، ص٧٥.

[٧٨] سرحال، أحمد: النظم السياسية، ص٢٠٧.

[٧٩] تقي الدين، سليمان: التطور التاريخي، ص٧٥.

[٨٠] عدوان، أكرم: تطور العلاقات السورية اللبنانية، ص٦٣.

[٨١] النادي الثقافي: القوى السياسية، ص٧٧ – الطاهري، حمدي: سياسة الحكم، ص٢٧٣.

[٨٢] تقي الدين، سليمان: التطور التاريخي، ص٧٥ – غليمور، دافيد: دروب الانهيار، ص٤٢.

[٨٣] قاسم، جمال زكريا: الأزمة اللبنانية، ص٢٩٤.

[٨٤] الطاهري، حمدي: سياسة الحكم، ص٢٥٣، غليمور، دافيد: دروب الانهيار، ص٤٢.

[٨٥] سرحال، أحمد: النظم السياسية، ص٢٠٧.

[٨٦] مركز الإعلام والتوثيق: بشير الجميل والقضية اللبناني، دار الابجدية للطباعة النشر، د. م، د. ط، د. ت، ص٦.

[٨٧] قاسم، جمال زكريا: الأزم اللبنانية، ص٢٩٤.

واحدة وتاريخ مشترك، خاصة المسيحيين منهم الذين يجب أن يكون لهم أكثرية الوظائف الحكومية والمقاعد النيابية[٨٨].لذلك عارض الحزب الوجود الفلسطيني في لبنان، وحاربه بكل الوسائل، كما أنه كان دوماً معارضاً للوحدة العربية حرصاً على استقلال لبنان[٨٩].

٥- حزب الاتحاد الدستوري (الكتلة الدستورية):

أسس عام ١٩٣٤م بقيادة بشارة الخوري[٩٠]، وهو يمثل البرجوازية الناشئة المتضررة من سياسة الانتداب الفرنسي والداعية للتعاون مع الأقطار العربية[٩١]. ويعتبر الحزب نفسه لبنانياً يعمل في نطاق الأنظمة والقوانين. ومن المبادئ التي نادى بها أن فلسطين عربية ويحق لشعبها استعادة كافة أراضيه من خلال اللجوء إلى كافة الوسائل والطرق لتحقيق هذا الهدف[٩٢]. وكان منافساً لحزب الكتلة الوطنية التي كان يرأسها الرئيس اميل اده.

٦- حزب الوطنيينالأحرار:

أسس عام ١٩٥٨م بقيادة كميل شمعون، ويضم الحزب الأصدقاء الشخصيين له الذين يسايرونه في مخططه السياسي سواء بالنسبة للسياسة الداخلية أو الخارجية[٩٣]. ويحرص الحزب على علاقات طيبة مع الدول العربية ويدافع عن قضاياها[٩٤]. ومن مبادئ الحزب أنه يصف الصهيونية بأنها خطر محدق، استولت على فلسطين، وكذلك تهدد لبنان في أرضه وكيانه كما تهدد باقي الدول العربية المحيطة به[٩٥] على الرغم من ذلك فإن سياسة الحزب لا تتعاطى مع أي نشاط يقصد به النيل من وحدة لبنان حتى ولو كان على حساب الفلسطينيين[٩٦] وتقضي سياسة الحزب بتدعيم العلاقات مع الدول الكبرى وخاصة الولايات المتحدة الأمريكية[٩٧].

ويتضح مما سبق وتلخيصاً لمبادئ حزب الأحرار التي تدعو إلى تعزيز النظام الداخلي والحكم الديمقراطي في لبنان بالإضافة إلى مناهضة الحزب للدعوات الطائفية والعنصرية والإقليمية إلا أن استراتيجية الحزب لا تقبل أي أعمال تؤثر على علاقات لبنان مع الدول الخارجية، فهو بالتالي من الممكن أن يتخذ مواقف مختلفة تجاه الوجود الفلسطيني في لبنان وخاصة بعد حرب ١٩٤٨م، وغالباً ما تكون سلبية.

٧- حزب الكتلة الوطنية:

---

[٨٨] النادي الثقافي: القوى السياسية، ص٢٠ – غليمور، دافيد: دروب الانهيار، ص٤٢.

[٨٩] النادي الثقافي: القوى السياسية، ص٢٠.

[٩٠] قاسم، جمال زكريا: الأزمة اللبنانية، ص٢٩٥.

[٩١] تقي الدين، سليمان: التطور التاريخي، ص٧٥ – حمدي: سياسة الحكم، ص٢٨٨.

[٩٢] النادي الثقافي: القوى السياسية، ص١٣٦ – سرحال، أحمد: النظم السياسية، ص٢٠٧.

[٩٣] قاسم، جمال زكريا: الأزمة اللبنانية، ص٢٩٧ – غليمور، دافيد: دروب الانهيار، ص٤٣.

[٩٤] الطاهري، حمدي: سياسة الحكم، ص٢٩١.

[٩٥] النادي الثقافي: القوى السياسية، ص١١٢ – غليمور، دافيد: دروب الانهيار، ص٤٣.

[٩٦] سرحال، أحمد: النظم السياسية، ص٢٠٨.

[٩٧] قاسم، جمال زكريا: الأزمة اللبنانية، ص٣٢٢.

أســـس عام ١٩٣٥م، ويعتبر حزب البرجوازية المارونية، وهو من أقدم الأحزاب، وقد عايش لبنان منذ ما قبل الاســـتقلال[٩٨]، حيث كان يعكس وجهة النظر المارونية التقليدية، وبدأ وجوده على أساس طائفي وسياسيبزعامة إميل اده في إطار التنافس على زعامة المسيحيين[٩٩]، بينه وبين الشيخ بشاره الخوري.

لذلك يعتبر من الأحزاب التي أنشـــأها مجموعة من الأشـــخاص تربطهم مصـــالح طائفية وانتخابية. ولا يختلف هذا الحزب عن الكتائب من حيث طبيعته السياسية، لكن ذلك لا يعني الانسجام والتآلف بين الفئتين في كافة المجالات السياسية إذ أن العلاقة بينهما قد تكون أحياناً محكومة بمعايير خاصة تباعد بينهما كالتنافس على الزعامة واستقطاب العناصر[١٠٠] ومن مبادئ الحزب أن يبقى لبنان صغيراً وأن يظل مسيحياً خالصاً[١٠١].

كان حزب الكتلة الوطنية حزباً لبنانياً طائفياً موالياً للسلطات الفرنسية في فترة الانتداب الفرنسي، أسسه الرئيس اميل اده، ومن أبرز وجوهه فيما بعد نجله ريمون اده.

وهكذا، يلاحظ من خلال التيارات السـياسـية في لبنان، كم كانت الطائفية والأحزاب المذهبية تتجاذي لبنان وشـعبه بين مشـرّق ومغرّب.

---

[٩٨] تقي الدين، سليمان: التطور التاريخي، ص٧٥.

[٩٩] قاسم، جمال زكريا: الأزمة اللبنانية، ص٢٩٦ – النادي الثقافي: القوى السياسية، ص٣٤.

[١٠٠] الطاهري، حمدي: سياسة الحكم، ص٢٨٤.

[١٠١] النادي الثقافي: القوى السياسية، ص٣٤.